

شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين

[239] الحكم الثالث - قوله عليه السلام (1): فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها، ويجهدا راكبها، أهلها قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون، فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حسن وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر.

_____ (1) - هو أيضا مروي في باب الخطب من نهج البلاغة قال ابن ميثم (ره) في شرحه (ص 254 من الطبعة الأولى): أقول: يحفزها يدفعها من خلف، والكلب الشر، والأذلة جمع ذيل، والرهج الغبار، والحس الصوت الخفى وقد نبه عليه السلام في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن ويخص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا تقوم لها قائمة أي لا يمكن مقابلتها بما يقومها ويدفعها وإنما أنت لكون القائمة في مقابلة الفتنة وقيل: لا تثبت لها قائمة فرس، واستعار لفظ الزمام والرجل والحفز والقائد والراكب وجهه لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام والرجل عن تمام أعداد الفتنة وتعنيها كما أن كمال الناقة للركوب أن تكون مزمومة مرحولة، وبقائدها عن أعوانها، وبراكبها عن منشئها المتبوع فيها، وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها، وأهلها إشارة إلى الزنج وظاهر شدة كلبهم وقلة سلبهم إذ لم يكونوا أصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر طرفا منها فيما يستقبل من كلامه في فصل آخر وقد وصف مقاتليهم في الله بكونهم أذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الأرض أي ليسوا من أبناء الدنيا المشهورين بنعيمها، وكونهم معروفين في السماء هو إشارة إلى كونهم من أهل العلم والإيمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم ملائكتهم بعبادة ربهم. ثم أردف ذلك بأخبار البصرة مخاطبا لها والخطاب لأهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر أنه لم يكن لهم غبار ولا أصوات إذ لم يكونوا أهل خيل ولا قعقة لجم فإذا لارهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نعم الله للعصاة وأن عمت الفتنة إذ قلما تخص العقوبة النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله (ع): سيبتلى